يحكى أن

③

بين الثعلب واللبؤة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
1426هـ - 2005م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بيْنَ الثَّعْلَبِ وَاللَّبُؤَةِ

فـي هَـذِهِ اللَّيْلَـةِ فَـاجَـأَتِ الجَـدَّةُ (أُمُّ الحَسَنِ) أَحْفَادَهَا ، فَبِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ رَاحَتْ تَرْوِي لَهُمْ هَذِهِ الحِكَايَةَ.

يُحْكَـى أَنَّ لَبُـؤَةً ـ وهِـيَ أُنْثَـى الأَسَدِ ـ كَانَتْ تَتَّخِذُ مِنْ إِحْدى الغَابَاتِ مَوْطِناً لَهَا ، وَكَانَ لَهَا شِبْلانِ يَنْزِلانِ

مِنْ نَفْسِهَا نُزُولَ السَّوَادِ مِنَ العَيْنِ.

وَلَكِنَ حَدَثَ مَعَها حَادِثٌ عَظِيمٌ. أَتَدْرُوْنَ يَا أَحْفَادِي مَا هُوَ؟!.

ذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَتْ تَسْعَى فِي مَنَاكِبِ الأَرْضِ ، تَبْحَثُ عَنِ الصَّيْدِ ، وَتَرَكَتْ شِبْلَيْهَا يَلْعَبَانِ فِي الغَابَةِ حَتَّى تَعُوْدَ إِلَيْهِما بِطَعَامٍ.

وَبَيْنَما هُمَا يَمْرَحَانِ ، وَيَلْعَبَانِ فِي غِبْطَةٍ ، وَسُرُوْرٍ ، وَيتَرَقَّبانِ عَوْدَةَ أُمِّهِمَا اللَّبُؤَة؛ إِذَا بِفَارِسٍ قَوِيٍّ يَلْمَحُ شَعْرَهُمَا الأَصْفَرَ الذَّهَبِيَّ المُتَأَلِّقَ ،

فَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَاقتَرَبَ مِنْهُمَا ، ثُمَّ ضَرَبَ كلاً مِنْهُمَا ضَرْبَةً شَدِيْدَةً ، فَمَاتَا ، فَقَامَ بِسَلْخِ جِلْدَيْهِمَا ، وَوَضَعَهُمَا فِي حَقِيْبَتِه ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ، وَعَادَ مُسْرِعاً إِلَى بَيْتِهِ.

وَفِي المَسَاءِ عَادَتِ اللَّبُؤَةُ إِلَى الغَابَةِ فَلَمْ تَجِدْ شِبْلَيْهَا ، فَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنْهُمَا فِي كُلِّ مَكَانٍ.

حَتَّى وَجَدَتْهُمَا كَوْمَتَيْنِ مِنَ اللَّحْم ، وَالعَظْم ، وَالدَّم ، فَارْتَمَت عَلَى الأَرْضِ مَغْشِيَّاً عَلَيْها ، وَلَمَّا أَفَاقَتْ؛ رَاحَتْ تَصِيْحُ ، وَتَتَأَوَّهُ..!.

وَلَمَّا سَمِعَ جَارُهَا الثَّعْلَبُ صَوْتَهَا؛ أَسْرَعَ إِلَيْهَا وَسَأَلَهَا:

مَاْذَا دَهَاكِ يَا أَمِيْرَةَ الغَابَةِ؟!.

أَجَابَتْ وَالأَسى وَالحُزْنُ بَادِيَانِ عَلَى مُحَيَّاها: لَقَدْ فُجِعْتُ بِأَعَزِّ مَا أَمْلِكُ؛ أَلا تَرَى كَيْفَ صَارَ شِبْلايَ كَوْمَتَيْنِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَالعَظْم ، وَالدَّمِ؟!.

فَسَأَلَها الثَّعلَبُ: وَمَنْ فَعَل بِهِما ذَلِكَ؟

قَالَتْ: إِنَّ آدَمِيَّاً لا قَلْبَ لَهُ

وَلا إِحْسَاسَ ، قَدْ فَعَلَ بِهِمَا هَذِهِ الفِعْلَةَ النَّكْرَاءَ ، وَالوَيْلُ لَهُ إِنْ وَقَعَ بَيْنَ يَدَيَّ!!.

.... وَأَظْهَرَ الثَّعْلَبُ الشَّمَاتَةَ بِهَا.... ، ثُمَّ قَالَ: يَاْ أَمِيْرَةَ الغَابَةِ! لا تُذْهِبِي نَفْسَكِ حَسَرَاتٍ عَلى مَا حَدَثَ! وَالأَفْضَلُ أَنْ تَصْبِرِيْ على هَذِهِ الفَاجِعَةِ ، والمُصِيْبَةِ ، وَاعْلَمِي أَنَّ الفَارِسَ لَمْ يَصْنَعْ إِلا بَعْضَ مَا تَصْنَعِيْنَ ، فَتَقَبَّلِيْ عِقَابَ السَّمَاءِ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ!.

فَقَالَتِ اللَّبُؤَةُ: وَيْحَكَ يَا أَيُّها

الثَّعْلَبُ المَاكِرُ! فَمَاذَا تَقُوْلُ أَنْتَ؟ وَلِمَاذَا عُقُوْبَةُ السَّمَاءِ؟!.

قَالَ الثَّعْلَبُ: كَمْ عُمُرُكِ الآنَ؟

قَالَتِ اللَّبُؤَةُ: قَرَابَةَ مِئَة سَنَةٍ.

فَسَأَلَهَا: وَمَاذَا كُنْتِ تَأْكُلِيْنَ خِلالَ هَذِهِ السِّنِيْنَ؟

أَجَابَتْ أَمِيْرَةُ الغَابَةِ: لَحْمَ الحَيَوَانَاتِ.

فَسَأَلَهَا الثَّعْلَبُ المَاكِرُ: وَكَيْفَ تَحْصُلِيْنَ عَلى هَذَا اللَّحْم؟

أَجَابَتِ اللَّبُوَّةُ: أَصِيْدُ الحَيَوانَاتِ ، وَأَتَّخِذُهَا طَعَاماً لِي.

فَأَرَادَ الثَّعْلَبُ أَنْ يُغِيْظَهَا أَكْثَرَ ، فَسَأَلَهَا: وَلَكِنْ لَمْ يَخْطُر بِبَالِكَ يَوْماً مَا: أَنَّ تِلْكَ الحَيَوانَاتِ الَّتي تَصِيْدِيْنَهَا لَهَا آبَاءٌ ، وأُمَّهاتٌ يَتَحَسَّرنَ عَلَى فَقْدِهَا!.

أَجَابَتِ اللَّبُوَّةُ: لَمْ أُفَكِّرْ يَوْمَاً: مَا الآبَاءُ ، والأَجْدُادُ ، وَالأُمَّهَاتُ؟!.

هَزَّ الثَّعْلَبُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ لَهَا: لأَنَّكِ مُجَـرَّدَةٌ مِنَ الإِحْسَاسِ تَمَامـاً ، وَمَثَلُكِ مَثَلُ الآدَمِيِّ الفَارِسِ الَّذِي قَتَلَ شِبْلَيْكِ.

وَهَا هِيَ العُقُوْبَةُ العَادِلَةُ تَحُلُّ بِكِ ، فَلا تَجْزَعِي أَبَدَاً!!.

تَوْبَـةٌ صَادِقَةٌ

وَهَكَذَا يَا أَحْفَادِيَ البَرَاعِمَ! أَثَّرَتْ كَلِمَـاتُ الثَّعْلَـبِ فِـي نَفْـسِ اللَّبُـؤَةِ ، فَقَرَّرَتْ مَا يَلِيْ:

إِنَّ فَجِيْعَتِـي ، وَمُصَـابِـي بِشِبْلَـيَّ الصَّغِيرَيْنِ لَيْسَ إِلا نَتِيْجَة حَتْمِيَّة لِمَا جَنَتْهُ يَدَايَ فِي غَابِرِ السَّنَواتِ!!.

وَأُقْسِمُ بِالله أَلا أَعُوْدَ إِلى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلٍ وَسَفْكِ دماءٍ. وَآخُذُ على

نَفْسِي عَهْدَاً أَلا أَتَذَوَّقَ اللَّحْمَ مَا عِشْتُ!
وَأَنْ يَكُوْنَ طَعَامِي فَقَط الفَوَاكِهُ ،
وَالخُضَارُ!!

رَاهِبَةٌ فِي الغَابَةِ

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَاللَّبُؤَةُ لا تَذُوْقُ اللَّحْمَ أَبَدَاً ، وَلا تَأْكُلُ إِلا الفَوَاكِهَ ، والخُضَارَ ، ولا تَشْرَبُ إِلا المَاءَ!.

تُمْضِي نَهَارَهَا فِي العِبَادَاتِ ، وَتَتَجَوَّلُ فِي الغَابَةِ ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ بَدِيْعَ صُنْعِ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَقَدْ أَصَابَ جَسَدَهَا الهُزَالُ ،

وَالضَّعْفُ بِسَبَبِ الجُوْعِ ، وَمَا إِلَى هُنَالِكَ.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ قَمَرِيَّةٍ مَرَّتْ بِحَدِيْقَةٍ ذَاتِ أَشْجَارٍ وَوُرُوْدٍ ، فَأُعْجِبَتْ بِهَا فَسَأَلَتْ: لِمَنْ هَذِهِ الحَدِيْقَةُ الغَنَّاءُ؟

فَقِيْلَ: هَذِهِ لِوَاحِدَةٍ مِنْ بَنَاتِ اليَمَامِ ، وَبَيْنَما اللَّبُؤَةُ جَالِسَةٌ في الحَدِيْقَةِ إِذَا بِهَا تَسْمَعُ صِيَاحَاً ، فَالتَفَتَتْ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، فَرَأَتْ بِنْتَ اليَمَامِ؛ وَهِيَ تَرْتَجِفُ ، وتَقُوْلُ:

أَيَّتُهَا اللَّبُؤَةُ الحَمْقَاءُ! لِمَاذَا هَذَا الاعْتِدَاءُ وَالظُّلْمُ؟ وَكَيْفَ تَحَوَّلْتِ مِنْ

آكِلةِ لُحُوْمٍ إلى آكِلَةٍ لِلنَّبَاتاتِ؟!.

وَمَنْ سَمَحَ لَكِ بِأَكْلِ ثِمَارِ حَدِيْقَتِي؟!

... وَلمَّـا سَمِعَـتِ اللَّبُـؤَةُ هَـذِهِ الشِّكَايَةَ المَرِيْرَةَ تَنْطَلِقُ مِنْ فَمِ بِنْتِ اليَمَامِ ، خَرَجَتْ مِنَ الحَدِيْقَةِ ، وقَرَّرَتْ أَنْ تَعِيْشَ رَاهِبَةً فِي الغَابَةِ!!!!

لِمَنْ سَتَكُوْنُ الجَائِزَةُ؟

وَلَمَّا أَكْمَلَتِ الجَدَّةُ حِكَايَتَهَا؛ صَاحَ أَحَدُ الأَحْفَادِ: حَقَّاً إِنَّهَا حِكَايَةٌ رَائِعَةٌ ، وَأَتَمَنَّى أَنْ تَحْكِيَ لَنَا جَدَّتُنَا الغَالِيَةُ مِثْلَهَا.

وَوَقَفَ (عِمَادٌ) واسْتَأْذَنَ مِنْ جَدَّتِهِ ، ثُمَّ قَالَ:

وَأَهَمُّ الدُّروسِ التي نَسْتَفِيْدُهَا مِنَ الحِكَايةِ أَنَّ الخَالِقَ سُبْحَانَهُ عَادِلٌ مَعَ كلِّ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَهُوَ يُجَازِيْ كلَّ مَخْلوقٍ بِمِثْلِ ما تَقْتَرِفُ يَدَاهُ.

هَزَّتِ الجَدَّةُ رَأْسَهَا ، وقَالَتْ: وَهَذَا كلامٌ جَمِيْلٌ يُمْكِنُ اختصَارُه بالقَوْلِ النَّبوِيِّ المَشْهُورِ: «كَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ».

أَيْ: كَمَا تُقَدِّمُ ، وَتَعْمَلُ.. تَلْقَى

النَّتِيْجَةَ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾.

وَقَدَّمَتِ الجَدَّةُ أُمُّ الحَسَنِ الجَائِزَةَ لِحَفِيْدِهَا (عِمَاْد) ، وَطَلَبَتْ مِنَ الأَوْلادِ التَّصفِيْقَ لَهُ ، ثُمَّ وَعَدَتهُمْ بِأَنْ تَحْكِيَ لَهُمْ فِي يَوْمِ غَدٍ حِكَايَةً أُخْرَى...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ

* * *